الوصف بالكفر في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد

د. رياض بن محمّد الغامدي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة

riyadh@bu.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخَّص

الكلمات المفتاحيَّة: الوصف – الكفر – كفور – كفَّار – ما أكفره – الإنسان– القرآن الكريم.

يتكون هذا البحث من الملخص والمقدَّمة، وتشتمل المقدمة على أهميَّة الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة الدراسة وأسئلتها، وحدودها، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وخطَّة البحث فيه، وفيه تمهيدٌ يشتمل على: التعريف بالإنسان والكفر لغة واصطلاحًا. ومبحثان، تناولت في المبحث الأول: الوصف بالكفر بصيغة (كفور) على وزن (فعول)، وفيه خمسة مطالب: في كل مطلب دراسة آية وصف فيها الإنسان بالكفر بصيغة (كفور) على وزن (فعول)، وتناولت في المبحث الثاني: الوصف بالكفر بصيغ أخرى، وفيه مطلبان: في كل مطلب دراسة آية تم الوصف فيها بالكفر بصيغة أخرى، ثمّ الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثمّ ذيلت البحث بفهرس المراجع والمصادر، فهرس الموضوعات.

Abstract

Keywords: - Decription -Disbelief-Kafour -Kaffar-Maakfarah - Human - Holy Quran .

The current research consists of the abstract and the introduction, the introduction includes the importance of the topic, the reasons for its selection, the problem and inquiries of the study, its limits, the study approach, previous studies, and the research plan. The preface includes the identification of human, disbelief in both linguistically and terminology. It includes two topics, in the first topic, I dealt with the verses in which human was described in disbelief in the form (*Kafour*) on the weight of (*Faoul*), it contains five requirements, in each one there is a discussion of a verse in which human was described in the form (*Kafour*) on the weight of (*Faoul*). In the second topic: I discussed the verses in which human was described in disbelief in other forms, it includes two requirements: in each requirement there is a study of a verse in which the

human was described in disbelief in other forms, then the conclusion that contains the most important findings and recommendations, and the index of references and resources.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، أما بعد.

فإن نعم الله على الإنسان كثيرة غير محصورة في نوع معين، ولا في عدد محدد، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ [النحل: ١٨].

ومن أجلِّ تلك النّعم، فطرة الإنسان على دين الإسلام، والهداية إليه، كما قال الله - : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الرّوم : الآية ٣٠].

وقال الرّسول: (ما من مولودٍ إلا يولدُ على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تُحسُّون فيها من جَدعاء) ثمّ يقول أبو هريرة: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ [سورة الرّوم : الآية ٣٠]. (١).

وكما هو معلوم أنَّ ضد الإسلام الكفر، وقد وجدت في القرآن الكريم مواضع وصف الله فيها عموم جنس الإنسان بالكفر، فجمعتها كونها جديرة بالدراسة والبحث لمعرفة معانيها، وبيان ما تضمَّنته تلك الآيات من المعاني

(١) ينظر: صحيح مسلم, كتاب: القدر, باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة. حديث رقم ٢٦٥٨.

الجليلة، والحكم البليغة.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية الموضوع من عدة جوانب، أبرزها ما يأتي:

١- أنَّه يتعلّق بدراسة أبلغ كتاب، وأفصح كلام، وهو القرآن الكريم.

٢- تحرير المصطلح القرآني، وبيان مراد الله منه، من أهم ما يعين على فهم كلام الله وتدبره، ومن ثمّ العمل به.

٣- بيان أهميَّة السِّياق، والسابق واللاحق في فهم القرآن الكريم.

٤- تسليط الضوء على مصطلح الكفر, والوصف بالكفر به؛ لما في ذلك من أهميَّة بالغة في بيان المراد من هذا الوصف، وفق سياق الآية القرآنيَّة.

أسباب اختيار الموضوع:

١- المساهمة بهذا البحث في بيان دقة وصف القرآن الكريم للموصوف.

٢- تذوق ألفاظ القرآن الكريم, وتدبر معانيها ومدلولاتها.

٣- بيان بلاغة القرآن في اختيار الألفاظ والأوصاف.

مشكلة وأسئلة الدراسة:

الدراسة الموضوعية التفسيرية هي التي تتناول موضوعًا من القرآن الكريم، وتجمع الآيات الواردة فيه، لدراستها، وبيان كيف تناول القرآن الكريم

ذلك الموضوع، وقد غلب على الدراسات التفسيرية الموضوعية، وخاصة الأكاديمية منها تناول الموضوعات التي حوت آيات كثيرة في القرآن الكريم، وأغفلت تلك الموضوعات التي وردت بها آيات قليلة، ومنها آيات الوصف بالكفر في القرآن الكريم فجمعتها وتناولتها بالبحث والتصنيف والدراسة، وأجبت عن التساؤلات التالية:

ما الإنسان؟

ما الكفر؟ وما نوع الكفر الذي وصف به الإنسان في كل آية؟

حدود الدراسة:

تناولت هذه الدراسة الآيات التي ورد فيها الوصف بالكفر بلفظ الكفر، وذلك في سبع آيات في القرآن الكريم، ولم تتناول هذه الدراسة أي مرادف لهذا اللفظ كالشّرك والنفاق، ولا بيان حال الإنسان في غير حالة الإعراض، وذلك خشية الإطالة، وحرصًا على تنول اللفظة القرآنيَّة المقصودة بذاتها.

منهج الدراسة:

جمعت فيه بين المنهج الاستقرائي[١] من خلال جمع الآيات المتعلّقة بالموضوع ودراستها، وبين المنهج الاستنباطي[٢] لاستنباط المفاهيم المتعلّقة

(١) الاســتقراء : عملية ملاحظة الظواهر, وتجميع البيانات عنها؛ للتوصــل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية. ينظر: مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية, د/ أحمد حسين الرفاعي, ص٨٣.

(٢) المنهج الاستنباطي: يعني السير بالعقل من قضايا يقينية أو مبادئ ثابتة مسلم بها فيستخلص منها الباحث قضايا أخرى، ويأخذ منها الدروس والعبر، ينظر: مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د/ حلمي عبد المنعم صابر، ص ٧٠ بتصرف، ط (١)، سنة ٢٠٠٠م، المنار للطباعة والنشر.

بمطالب البحث وذكر أقوال العلماء فيها.

جمعت الآيات القرآنية المتعلّقة بالموضوع ودرستها.

- عزوت الآيات إلى سورها وأرقامها بجوارها.
- نسبت الأقوال إلى أصحابها من مصادرها الأصلية.
- قبل الكلام عن الصيغة أعرف بها من كتب اللغة المعتبرة.
- رتبت البحث على مباحث, ومطالب حسب الخطة الموضوعة.
- لم أترجم للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث خشية الإطالة.
- وضعت فهارس لموضوعات البحث ومصادره ومراجعه بترتيب أبجدي ليسهل الرّجوع إليها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في محركات البحث والمكتبات الجامعية لم أجد من أفرد هذا البحث بالدراسة الأكاديمية.

خطة البحث:

المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومشكلة وأسئلة الدراسة، وحدود الدراسة، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث فيها.

التمهيد، وفيه التعريف بالإنسان والكفر لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: الوصف بالكفر بصيغة (كفور)على وزن (فعول)، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حال الإنسان مع رحمة الله تعالى.

المطلب الثاني: التّمثيل بحال الإنسان في السّراء والضّراء.

المطلب الثالث: كفر الإنسان مع كمال علمه بقدرة الله تعالى.

المطلب الرّابع: الإنسان الكافر وموقفه من دعوة الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الخامس: موقف الإنسان الكفور من الملائكة عليهم السلام.

المبحث الثاني: الوصف بالكفر بصيغ متعددة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوصف بالكفر بصيغة كفَّار.

المطلب الرّابع: الوصف بالكفر بصيغة ما أكفره.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

تعريف الإنسان لغة: (أَنَسَ) الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشّيء، وكل شيء خالف طريقة التَّوحُّش. قالوا: الإنس خلاف الجن، وسموا لظهورهم. يقال: آنست الشّيء: إذا رأيته. قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [سورة النساء : الآية ٦] . ويقال: آنست الشّيء: إذا سمعته. وهذا مستعار من الأول(١).

قيل: اشتقاقه من النسيان, بدليل أنَّه يصغر أُنَيْسِيَانًا. وقيل: إنَّ الياء في التصغير زائدة، وإنما اشتقاقه من الإيناس، وهو الرّويَّة(٢).

تعريف الإنسان اصطلاحًا: الإنس هم البشر، مفرده إنسيّ، وجمعه أناسيّ، وأُناس، وهو للمذكَّر والمؤنث(٣).

تعريف الكفر لغة: السَّتر والتَّغطية، وسمي الكافرُ كافرًا؛ لأنَّه متكفِّر به كالمتكفر بالسّلاح, وهو الذي قد ألبسه السّلاح حتى غطى كل شيء منه، وكذلك غطَّى الكفر قلب الكافر، ولهذا قيل للَّيل: كافر؛ لأنَّه ألبس كل شيء. ويقال: إنَّما سمي الكافرُ كافرًا؛ لأنَّ الكفر غطّى قلبه كله، فقيل له: كافرٌ؛ وإيضاحه: أنَّ الكفر في اللغة معناه التغطية، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السّلاح: كافر وهو الذي غطّاه السّلاح(٤).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ابن فارس ١/١٤٥.

(٢) ينظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني ١/٩٧.

(٣) ينظر: معجم متن اللغة لأحمد رضا ١/٢١٢.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٠/١٩٤، لسان العرب ابن منظور٥/١٤٥.

تعريف الكفر شرعًا:

الكفر: تغطية ما حقه الإظهار، والكفران: ستر نعمة المنعم بترك أداء شكرها. وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو النبوة أو الشريعة [١]

وهو: عدم الإيمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد بنقيضه وتكلّم به، أو لم يعتقد شيئًا ولم يتكلّم[٢].

وقيل في تعريفه أيضًا: صفة من جحد شيئًا, ممَّا افترض الله تعالى الإيمان به, بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معًا، أو عمل عملًا جاء النص بأنَّه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان[٣].

وعرف الكفر أيضًا بأنَّه: حدُّ الكفر الجامع لجميع أجناسه، وأنواعه، وأفراده هو جحد ما جاء به الرّسول ﷺ، أو جحد بعضه، كما أنَّ الإيمان اعتقاده ما جاء به الرّسول والتزامه جملة وتفصيلًا، فالإيمان والكفر ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتًا كاملًا، انتفى الآخر[٤].

من خلال التعريفات السابقة، يمكن القول: بأنَّ الكفر ضد الإيمان، وأنَّه اعتقادات، وأقوال، وأفعال حَكَمَ الشّارعُ بأنَّها تناقض الإيمان.

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف, المناوي, ص ٢٨٢.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨٦/٢٠.

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام ابن حزم ٤٥/١.

(٤) ينظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام لعبد الرحمن بن سعدي. ص٢٠٣.

المبحث الأول:

الوصف بالكفر بصيغة (كفور) على وزن (فَعُوْل)

وفيه مدخل وخمسة مطالب:

المطلب الأول: حال الإنسان مع رحمة الله تعالى.

المطلب الثاني: التّمثيل بحال الإنسان في السّراء والضّراء.

المطلب الثالث: كفر الإنسان مع كمال علمه بقدرة الله تعالى.

المطلب الرّابع: الإنسان الكافر, وموقفه من دعوة الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الخامس: موقف الإنسان الكفور من الملائكة عليهم السلام.

مدخل:

استعملت صيغة كفور في القرآن الكريم خمسة عشر موضعا, وتستعمل غالبًا لأمرين: للكافر المبالغ في الكفر, كقوله تعالي: (إن الإنسان لكفور مبين) { سورة الزخرف, آية: ١٥} ولجاحد النعمة غير الشاكر (إما شاكراً وإما كفورا){ سورة الإنسان آية ٣}, وكقوله تعالى: (وكان الشيطان لربه كفورا){سورة الإسراء ٢٧}.

(تُحوَّل صيغة فاعل للدلالة على الكثرة والمبالغة فى الحَدَث، إلى أوزان خمسة مشهورة، تُسَمَّى صِيغ المبالغة، وهى فَعَّال: بتشديد العين، كأَكَّال وشرَّاب. ومِفعال: كمِنحار. وفَعُول: كغَفُور. وفَعِيل: كسميع. وفَعِل: بفتح الفاء وكسر العين كحذِرٌ) [١].

وبناء عليه: كفور على وزن فعول: وكَفُور: كافِر. وَالْأُنْثَى: كَفُور أَيْضا. وجمعهما جَمِيعًا: كُفُر، وَلَا يُجْمَع جمع السَّلامَة، لِأَن الْهَاء لَا تدخل فِي مؤنثه[٢].

(١) ينظر: شذا العرف في فن الصرف, أحمد بن محمد الحملاوي, , ص ٦٢.

(٢) ينظر: المحكم و المحيط الأعظم, أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده , ٧ / ٤.

المطلب الأول:

حال الإنسان مع رحمة الله تعالى.

أولًا : تناسب الآية مع ما بعضها وما قبلها :

وفي هذه الآية، وما بعدها، بيان لحال الإنسان في اختبار الله له في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [سورة هود: الآية ٧].وأيضًا فإن هذه الآية عطف على قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ [سورة هود: الآية ٨]، فإنَّه لما ذكر أنَّ ما هم فيه متاعٌ إلى أجل معلوم عند الله، وأنَّهم بطروا نعمة التَّمتيع فسخروا بتأخير العذاب، بينت هذه الآية أنَّ أهل الضلالة راسخون في ذلك؛ لأنهم لا يفكرون في غير اللذات الدنيوية, فتجري انفعالاتهم على حسب ذلك, دون رجاء لتغير الحال، ولا يتفكرون في أسباب النّعيم والبؤس, وتصرفات خالق النّاس ومقدر أحوالهم، ولا يتَّعظون بتقلُّبات أحوال الأمم، فشأن أهل الضلالة أنَّهم إن حلت بهم الضّراء بعد النّعمة ملكهم اليأس من الخير ونسوا النّعمة فجحدوها وكفروا منعمها، فإنَّ تأخير العذاب رحمة وإتيان العذاب نزع لتلك الرّحمة(١).

وورد أيضا في سياق هذه الآية: (جاءَت هذه الآية والآيتان بعدها لبيان حال الإنسان وطبيعته عند الابتلاء بالسراءِ والضراءِ. وأنه لا يصبر على المحن ولا يشكر النعم إلا الصالحون. والمعنى: ولئن أعطينا الإنسان منا نعمة من النعم وأذقناه حلاوتها ولذتها، كالصحة والمال والولد البار، ثم

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, محمّد الطاهر ابن عاشور, ١٢/١٢.

أخذناها منه فإنه يجمع بين شيئين: المبالغة في اليأس من عودة مثل ما سلب منه، والمبالغة في جحد النعمة وعدم شكر ما بقى منها ونعم الله لا تحصى، وإنما يفعل ذلك لحرمانه من فضيلتى الصبر والشكر، فهو لذلك لا يرجو ثوابا، ولا يخطر بباله أن الله سيردها إليه أو مثلها أو خيرًا منها إن هو صبر أَو شكر، مع أنه لا يقنط من رحمة الله إلا الضالون [١].

ثانيًا: تفسير الآية إجمالًا: أي، ولئن أعطينا جنس الإنسان منَّا نعمة – كالعافية وسعة الرّزق وطيب العيش– فوجد لذتها، ثمّ سلبناها منه؛ فإنه يظل شديد اليأس من حصول الخير له في المستقبل، جاحدًا نعم الله عليه، قليل الشّكر لربه، والكفر في هذه الآية، كفر الجحود[٢].

وقيل: (ويئوس وكفور بناءان للمبالغة، وكفور هاهنا من كفر النعمة، والمعنى أنه ييأس ويحرج ويتسخط، ولو نظر إلى نعمة الله الباقية عليه في عقله وحواسه وغير ذلك، ولم يكفرها لم يكن ذلك، فإن اتفق هذا أن يكون في كافر أيضا بالشرع صح ذلك ولكن ليس من لفظ الآية) [٣].

ثالثًا: لطائف من الآية الكريمة:

١– لفظ الإذاقة والذوق يفيد أقل ما يوجد به الطّعم، فكان المراد أنَّ الإنسان بوجدان أقل القليل من الخيرات العاجلة يقع في التمرد والطّغيان، وبإدراك أقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفران، فالدنيا في نفسها

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم, مجموعة من العلماء, مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر, ١٦٩/٤.

(٢) ينظر: تفسير جامع البيان, محمّد بن جرير الطبري, ١٢/٣٣٩، تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي, ٩/١١، تفسير تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن السعدي, ص٣٧٨.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, ابن عطية الأندلسي, ٣/ ١٥٣.

قليلة، والحاصل منها للإنسان الواحد قليل، والإذاقة من ذلك المقدار خير قليل، ثمّ إنَّه في سرعة الزوال يشبه أحلام النّائمين وخيالات الموسوسين، فهذه الإذاقة من قليل، ومع ذلك فإنَّ الإنسان لا طاقة له بتحمُّلها, ولا صبر له على الإتيان بالطّريق الحسن معها(١).

٢- تأكيد الجملة باللام الموطئة للقسم في ﴿ وَلَئِنْ ﴾ وبـ (إنَّ) واللام في جملة جواب القسم ﴿ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ ﴾ لقصد تحقيق مضمونها، وأنَّه حقيقة ثابتة لا مبالغة فيها ولا تغليب(٢).

٣- اختيرت مادّة الإذاقة في ﴿ أَذَقْنَا ﴾ لما تشعر به من إدراك أمر محبوب؛ لأنَّ المرء لا يذوق إلا ما يشتهيه، ومادّة النَّزع في ﴿ نَزَعْنَٰهَا ﴾ للإشعار بشدّة تعلّق الإنسان بها وحرصه عليها(٣).

٤- لما كانت النّعم عواريَّ من الله يمنحها من يشاء من عباده، قدَّم الصلة دليلًا على العاريَّة، فقال: ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾(٤).

٥- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عَزَّوَجَلَّ(٥).

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب, فخر الدّين الرازي ٣٢٢/١٧.
(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور ١٢/١٣.
(٣) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم, أبو السعود, ١٩٠/٤.
(٤) ينظر: نظم الدرر للبقاعي, ٩/٢٤٢.
(٥) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم, أبو السعود ١٩٠/٤.

المطلب الثاني:

التّمثيل بحال الإنسان في السّراء والضّراء

يعدّ ضرب المثل (من أساليب القرآن في الدعوة أن ضرب الأمثال الرائعة وصاغ التشابيه الرائقة والاستعارات الفائقة والكنايات اللطيفة، ويضاف إلى هذا ما كان ينطق به الرسول عليه الصلاة والسلام من الأقوال الطافحة بالأمثال والاستعارات والكنايات التي لم تخطر على قلب عربي قبله، فكان مطلع الإسلام مما زاد البلغاء خبرة بتصريف المعاني وترقى بهم إلى رتبة سامية في صناعة الخيال) [١]

أولًا: مناسبة الآية لما قبلها: بعد أن ألزم الله الكافرين الحجَّة على حق إلهية الله تعالى بما هو من خصائص صنعه باعترافهم، أعقبه بدليل آخر من أحوالهم المتضمنة إقرارهم بانفراده بالتصرف ثمّ بالتعجيب من مناقضة أنفسهم عند زوال اضطرارهم[٢].

ثانيًا: تفسير الآية إجمالًا: أي: وإذا أصابتكم الشدّة في البحر- كما لو أمسكت السَّفينة عن الجري، أو اشتدَّت عليكم الرّيح، وهاجت بكم الأمواج واضطربت، وخشيتم الغرق- غاب عن قلوبكم كل من تدعونهم من دون الله، ولم تستغيثوا إلَّا بالله وحده؛ لعلمكم بأنَّه لا ينجِّيكم أحد سواه، أي: فلمَّا نجَّاكم الله من الغرق، وأوصلكم إلى البرِّ؛ أعرَضتُم عن شكره وتوحيده، والإخلاص

(١) ينظر: مجلة المنار, الشيخ: رشيد رضا وغيره: بدون تاريخ , مجلد ٢٢, ص ٦٧٩.

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور ١٥٩/١٥.

له أي: وكان الإنسانُ مَطبوعًا على الجُحودِ لنِعَمِ اللهِ عليه؛ فهذه سَجِيَّتُه إلَّا مَن عَصَمَه اللهُ تعالى، والكفر المذكور في الآية هو كفر الجحود(١).

ثالثًا: لطائف من الآية الكريمة:

١- اتَّفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارًّا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة، فذهب هاربًا، فركب في البحر يدخل الحبشة، فجاءتهم ريحٌ عاصفٌ، فقال القوم بعضهم لبعض: إنَّه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله إن كان لا ينفع في البحر غيره, فإنَّه لا ينفع في البرّ غيره، اللهم لك عليَّ عهدٌ لأن أخرجتني منه لأذهبنَّ فلأضعنّ يدي في يد محمّد، فلأجدنّه رؤوفًا رحيمًا، فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم, وحسن إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

٢- في الآية الكريمة إشارةٌ إلى إمكان حصول الخوف لهم بمجرَّد حلولهم بالبرِّ، بحيث يُخسَفُ بهم ذلك الشّاطئ، أي: أنَّ البرَّ والبحرَ في قدرة الله تعالى سيَّان؛ فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في البرِّ والبحر(٣).

٣- في الآية الكريمة دليلٌ على أنَّ الفزع إلى الله في الشدّة -دون الرّخاء- خُلُقٌ من أخلاق الكافرين، وأنَّ المؤمن مندوبٌ إلى مراعاة حقِّ الله عليه، والتَّعرُّف إليه في الرّخاء؛ ليجاب عند الشدّة، فإذا أُجيبَ ازداد ذكْرًا وخشيةً واقترابًا وتفويضًا؛ ليكون عبدًا مُؤتمِرًا، لا وَجِلًا خائفًا، متبرِّئًا من الحَول والقوَّة،

(١) ينظر: تفسير جامع البيان, الطبري, ١٤/٦٦٨، تفسير القرآن العظيم, ابن كثير, ٥/٩٦، تفسير أضواء البيان الشنقيطي, ٣/١٧٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم, ابن كثير, ٥/٩٦.

(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور, ١٥/١٦٢.

مستمدًّا المعونة من ربّه في كلا حالَيه من الرّخاء والشدّة[١].

٤- في الآية الكريمة لم يقل: (أمَسَّكم) بالإسناد إلى نفسه تعالى؛ تأديبًا لنا في مخاطبته بنسبة الخير دون الشّرّ إليه، مع اعتقاد أنَّ الكلَّ فِعْلُه، وتنبيهًا على أنَّ الشّرَّ ممَّا ينبغي التبرُّؤ منه، والبعد عنه[٢].

٥- في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ خبرٌ مستعملٌ في التَّقرير وإلزام الحجَّة. وجُملةُ ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ خبرٌ مستعملٌ في التَّعجيب والتَّوبيخ. والعدول إلى الموصوليَّة- ﴿ مَن تَدْعُونَ ﴾ -لما تؤذن به الصِّلة من عمل اللِّسان؛ ليتأتَّى الإيجاز، أي: من يتكرَّر دعاؤكم إيَّاهم، كما يدلُّ عليه المضارع، فالمعنى: غاب وانصرف ذكر الَّذين عادتكم دعاؤهم عن ألسنتكم فلا تدعونهم، وذلك بقرينة ذكر الدُّعاء هنا الَّذي متعلّقه اللِّسان؛ فتعيَّن أنَّ ضلالهم هو ضلال ذكر أسمائهم، وهذا إيجازٌ بديعٌ[٣].

٦- في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ تعليلٌ لما سبق من الإعراض، وجاءت صفة

ُ آ هيَّ دلالةً على المبالغة، ثمّ لم يخاطبهم بذلك، بل أسند ذلك إلى الإنسان؛ لطفًا بهم، وإحالةً على الجنس؛ إذ كلُّ أحدٍ لا يكاد يؤدِّي شكر نعم الله، وأيضًا هذه الجملة ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ اعتراضٌ وتذييلٌ؛ لزيادة

(١) ينظر: النكت الدالة على البيان, القصَّاب, ٢/١٧٨.

(٢) ينظر: نظم الدرر, البقاعي, ١١/٤٧٢.

(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور ١٥/١٥٩.

التَّعجُّب منهم ومن أمثالهم. والتَّعريف في الإنسان تعريف الجنس، وهو مفيدٌ للاستغراق؛ فهذا الاستغراق يجوز أن يكون استغراقًا عرفيًّا بحمله على غالب نوع الإنسان، وهم أهل الإشراك، وهم أكثر النّاس يومئذٍ، فتكون صيغة المبالغة من قوله: ﴿ كَفُورًا ﴾ راجعةً إلى قوَّة صفة الكفران أو عدم الشّكر؛ فإنَّ أعلاه إشراك غير المنعم مع المنعم في نعمةٍ لا حظَّ له فيها. ويجوز أن يكون الاستغراق حقيقيًّا، أي: كان نوع الإنسان كفورًا، أي: غير خالٍ من الكفران، فتكون صيغة المبالغة راجعةً إلى كثرة أحوال الكفران مع تفاوتها(١).

٧- ذكر فعل (كان) إشارةٌ إلى أنَّ الكفران مستقرٌّ في جبلَّة هذا الإنسان؛ لأنَّ الإنسان قلَّما يشعر بما وراء عالم الحسِّ؛ فإنَّ الحواسَّ تشغله بمدركاتها عن التَّفكُّر فيما عدا ذلك من المعاني المستقرَّة في الحافظة، والمستنبطة بالفكر(٢).

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط, أبو حيان الأندلسي,٧ /٨٢، التحرير والتنوير, ابن عاشور,١٥/ ١٦٠.
(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور,١٥/ ١٦٠.

المطلب الثالث:

وقوع الكفر من الإنسان مع كمال علمه بقدرة الله تعالى.

(الإيمان في حد ذاته عمل صالح بل هو أساس كل عمل صالح فلا عمل صالحًا بلا إيمان... كان ولا شك عملًا صالحًا عظيمًا كما أن صدور الكفر من العبد لا شك أنه عمل غير صالح) (١).

أولًا: مناسبة الآية لما قبلها: بعد أن ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فيما سلف- عظيم قدرته وبالغ حكمته فى ولوج اللَّيل فى النَّهار والنَّهار فى اللَّيل، ونبَّه بذلك على سابغ نعمه على عباده؛ أردف ذلك بذكر أنواعٍ أُخرى من الدَّلائل على قدرته، فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ ﴾(٢) [سورة الحج : الآية ٦٦].

ثانيًا: تفسير الآية إجمالًا: أي: والله هو الذي أحياكم وأوجدكم من العدم، ثمّ يميتكم عند انقضاء آجالكم، ثمّ يحييكم يوم القيامة للحساب والجزاء. كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[سورة الجاثية : الآية ٢٦]. ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ أي: إنَّ الإنسان لجَحودٌ لآيات الله فلا يؤمِن بها، جَحودٌ لنعم الله فلا يشكر الله عليها، ولا يُخلِص عبادته له وحده(٣).

---

(١) ينظر: التوصل إلى حقيقة التوسل – المشروع والممنوع, محمد نسيب الرفاعي, ص ٧٧.

(٢) ينظر: تفسير المراغي, ١٧/١٣٦.

(٣) ينظر: تفسير جامع البيان, الطبري, ١٦/٦٢٥، تفسير الجامع لأحكام القرآن, القرطبي١٢/٩٣.

ثالثًا: لطائف من الآية الكريمة:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ هذا كما قد يُعدِّد المرء نعمه على ولده، ثمّ يقول: إنَّ الولد لكَفور لنعم الوالد؛ زجرًا له عن الكفران، وبعثًا له على الشّكر؛ فلذلك أورد تعالى ذلك في الكفَّار، فبيَّن أنَّهم دفعوا هذه النّعم، وكفروا بها، وجهلوا خالقها، مع وضوح أمرها(١).

٢- جملة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ﴾ عطف على جملة ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ ﴾ [سورة الحج : الآية ٦٥].؛ لأنَّ صَدْرَ هذه الآية من جملة النّعم؛ فناسب أن تُعطَفَ على سابقتها المتضمَّنة امتنانًا واستدلالًا كذلك(٢).

٣- قولُه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ الجملة تذييلٌ يجمع المقصد من تعداد نعم المُنعِمِ بجلائلِ النّعم المُقتضيةِ انفرادَهُ باستحقاقِ الشّكر، واعتراف الخلق له بوحدانيَّة الرّبوبيَّة. وتوكيد الخبر بحرف (إنَّ)؛ لتنزيلهم منزلة المُنكِرِ أنَّهم كُفراءُ(٣).

٤- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ وصفٌ للجنس بوصف بعض أفراده؛ فالتَّعريف في الإنسان تعريف الاستغراق العرفي المؤذن بأكثر أفراد الجنس؛ من باب قولهم: جمع الأمير الصَّاغة، أي: صاغة بلده، وقوله

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب, الرازي ٢٣/٢٤٨.
(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور ١٧/٣٢٦.
(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور, ١٧/٣٢٦.

تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [سورة الشّعراء : الآية ٣٨]، وقد كان أكثر العرب يومئذٍ منكرين للبعث. أو أُريد بالإنسان خصوص المشرك، كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ﴾ [سورة مريم : الآية ٦٦] والكَفُورُ مبالغةٌ في الكافر؛ لأنَّ كفرهم كان عن تَعنُّتٍ ومُكابَرةٍ. ويجوز كونُ الكَفُورِ مأْخوذًا من كفر النّعمة، وتكون المبالغة باعتبار آثار الغفلة عن الشّكر، وحينئذ يكون الاستغراق حقيقيًا(١).

(١) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم, أبو السعود, ١١٨/٦، تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور, ١٧/٣٢٦.

المطلب الرّابع:

الإنسان الكافر وموقفه من دعوة الأنبياء عليهم السلام

(دأب المسلم دائمًا أن يتلمس حكمة الله في تشريعه للعباد، وقد نص سبحانه وتعالى عن الحكمة في معظم تشريعاته. ودأب الكافر الاعتراض والاستهزاء بتشريع الله تبارك وتعالى) (١).

أولًا: مناسبة الآية لما قبلها: الفاء للتفريع على قوله: ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم ﴾ [سورة الشّورى : الآية٤٧]، وهو جامع لما تقدَّم كما علمت، إذ أمر الله نبيه بدعوتهم للإيمان من قوله في أول السورة، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [سورة الشّورى : الآية ٧] ثمّ قوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ ﴾ [سورة الشّورى : الآية ١٥]، وما تخلَّل ذلك واعترضه من تضاعيف الأمر الصريح والضمني إلى قوله: ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم ﴾ [سورة الشّورى : الآية٤٧] ثمّ فرَّع على ذلك كله إعلام الرّسول صلى الله عليه وسلم بمقامه وعمله إن أعرض معرضون من الذين يدعوهم وبمعذرته فيما قام به، وأنَّه غير مقصر، وهو تعريض بتسليته على ما لاقاه منهم، والمعنى: فإنْ أعرضوا بعد هذا كله فما أرسلناك حفيظًا عليهم ومتكفلًا بهم إذ ما عليك إلا البلاغ. وإذ قد كان ما سبق من الأمر بالتبليغ والدعوة

(١) ينظر: الحد الفاصل بين الإيمان والكفر, المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق , ٥٧, ٥٨.

مصدَّرًا بقوله أوائل السورة ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾ [سورة الشّورى : الآية ٦]، لا جرم ناسب أن يفرّع على تلك الأوامر بعد تمامها مثل ما قدم لها فقال: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ وهذا الارتباط هو نكتة الالتفات من الخطاب الذي في قوله: ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُمۡ ﴾ [سورة الشّورى : الآية٤٧] إلى الغيبة في قوله هنا: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ ﴾ وإلا لقيل: فإن أعرضتم(١).

ثانيًا: تفسير الآية إجمالًا: أي: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمّد عمَّا أتيتهم به من الحق، ودعوتهم إليه من الرّشد، فلم يستجيبوا لك، وأبوا قبوله منك، فَدَعْهُم، فإنَّا لن نرسلكَ إليهم رقيبًا عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها. ﴿ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾: ما عليك يا محمّد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرّسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيتَ ما عليك. فإنَّا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرّحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه، فرح بها وسُرَّ بما أعطيناه من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال. وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش. (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير ﴿ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴾ يقول تعالى ذكره: فإنَّ الإنسان جحود نعم ربه،

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥/ ١٣٢.

يعدد المصائب ويجحد النّعم[١].

ثالثًا: لطائف من الآية الكريمة:

١- البلاغ في قوله تعالى: ﴿ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ التبليغ، وهو اسم مصدر، وقد فُهِمَ من الكلام أنَّه قد أدَّى ما عليه من البلاغ؛ لأنَّ قوله: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ ﴾ دلَّ على نفي التَّبِعَة عن النبي صلى الله عليه وسلم من إعراضهم، وأنَّ الإعراض هو الإعراض عن دعوته، فاستُفيدَ أنَّه قد بلَّغ الدعوة، ولولا ذلك ما أثبت لهم الإعراض[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَا ﴾ نعم الله في الدنيا وإن كانت عظيمة إلا أنَّها بالنسبة إلى السعادات المعدَّة في الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر فلذلك سمَّاها ذَوقًا، فبيَّن تعالى أنَّ الإنسان إذا فاز بهذا القدر الحقير الذي حصل في الدنيا؛ فإنَّه يفرح بها، ويعظم غروره بسببها، ويقع في العجب والكبر، ويظنُّ أنَّه فاز بكل المُنى، ووصل إلى أقاصي السَّعادات، وهذه طريقةُ من يضعُفُ اعتقاده في سعادات الآخرة، وهذه الطّريقة مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا إلا كالوصلة إلى نعم الآخرة[٣].

٣- اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في الآية: فمنهم من حملها على خصوص الإنسان

(١) ينظر: تفسير جامع البيان للطبري, ٢١/ ٥٥٦.

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور, ٢٥/ ١٣٣.

(٣) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب, الرازي, ٢٧/ ٦٠٩.

الكافر بالله مثل الزمخشري[١] والقرطبي[٢] والطّيبي[٣]، ومنهم من حملها على ما يعم أصناف النّاس مثل الطّبري[٤] والبغوي[٥] والنسفي[٦] وابن كثير[٧]. ومنهم من حملها على إرادة المعنيين على أن أولهما هو المقصود والثاني مندرج بالتَّبع وهذه طريقة البيضاوي[٨] وصاحب الكشف، ومنهم من عكس وهي طريقة الكواشي في تلخيصه. وعلى الوجهين فالمراد بالإنسان في الموضع الأول والموضع الثاني معنى واحد وهو تعريف الجنس المراد به الاستغراق، أي إذا أذقنا النّاس، وأنَّ النّاس كفورون، ويكون استغراقًا عرفيًّا أريد به أكثر جنس الإنسان في ذلك الزمان والمكان؛ لأنَّ أكثر نوع الإنسان يومئذ مشركون، وهذا هو المناسب لقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ أي شديد الكفر قويه، ولقوله: بما قدمت أيديهم أي من الكفر. وإنَّما عدل عن التعبير بالنّاس إلى التعبير بالإنسان للإيماء إلى أنَّ هذا الخلق المخبر به عنهم هو من أخلاق النوع لا يزيله إلا التخلق بأخلاق الإسلام فالذين لم يسلموا باقون عليه، وذلك أدخل في التسلية؛ لأنَّ اسم الإنسان اسم جنس

(١) ينظر: تفسير الكشاف, الزمخشري, ٤/ ٢٣١
(٢) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن, القرطبي ٤٧/ ١٦.
(٣) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب الطيبي, ١٤/ ٨٣.
(٤) ينظر: تفسير جامع البيان, الطبري, ٢١/ ٥٥٦.
(٥) ينظر: تفسير معالم التنزيل, البغوي, ٧/ ٢٠٠.
(٦) ينظر: تفسير مدارك التنزيل, النسفي, ٣/ ٢٦٠
(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم, ابن كثير, ٧/ ٢١٥.
(٨) ينظر: تفسير أنوار التنزيل, البيضاوي, ٥/ ٨٤.

يتضمن أوصاف الجنس المسمَّى به على تفاوتٍ في ذلك، وذلك لغلبة الهوى[١].

المطلب الخامس:

موقف الإنسان الكفور من الملائكة عليهم السلام

إيمان المسلم بالملائكة(ينتظم معاني أحدها: التصديق بوجودهم، والآخر: إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقة كالإنس والجن، مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما يقدر لهم الله تعالى، والموت جائز عليهم ولكن الله جعل لهم أمدًا بعيدًا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى ولا يدعون آلهة كما قد دعتهم الأوائل. والثالث الاعتراف بأن منهم رسلًا لله تعالى يرسلهم إلى من يشاء من البشر)[٢]. غير أن الكفور من الناس لم يؤمن بوجود الملائكة, ومنهم من وصفهم بما لم ينزل الله به سلطانا .

أولًا: مناسبة الآية لما قبلها: هذه الآية متصلةٌ بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [سورة الزخرف : الآية٩] أي: ولئن سألتهم عن خالق الأشياء ليعترفنَّ به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف جزءًا.

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, ابن عاشور, ٢٥/١٣٤.

(٢) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان,، أبو عبد الله الحَلِيمي (ت: ٤٠٣ هـ), ١/ ٢٧٠.

فالواو للعطف على جملة ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾. ويجوز كونها للحال على معنى: وقد جعلوا له من عباده جزءًا(١).

ثانيًا: تفسير الآية إجمالًا: أي: وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبًا، وذلك قولهم للملائكة: هم بنات الله، إنَّ الإنسان لذو جَحْد لنعم ربه التي أنعمها عليه، يبين كفرانه نعمه عليه، لمن تأمله بفكر قلبه، وتدبر حاله(٢).

(١) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم , أبو السعود ٨/٤٢، تفسير التحرير والتنوير ابن عاشور, ٢٥/ ١٧٦.

(٢) ينظر: تفسير جامع البيان للطبري ٢١/٥٧٧، تفسير تيسير الكريم الرحمن, لعبد الرحمن السعدي. ص٧٦٣.

المبحث الثاني:

الوصف بالكفر بصيغ متعددة

وفيه مدخل ومطلبان:

المطلب الأول: الوصف بالكفر بصيغة كفَّار.

المطلب الثاني: الوصف بالكفر بصيغة ما أكفره.

مدخل :

وردت كلمة (كَفّار)في القرآن الكريم خمس مرات, وتستخدم صيغة فعّال في العربية للدلالة على المبالغة في الفعل: (يمكن تحويل صيغة "فاعل" الدالة على اسم الفاعل من الثلاثي المتصرف إلى صيغة: "فعّال" أو غيرها من الصيغ المعروفة باسم صيغ المبالغة). [١]

(١) ينظر: النحو الوافي, المؤلف: عباس حسن ,٣/ ٢٥٨ .

المطلب الأول:

الوصف بالكفر بصيغة كفَّار

أولًا: مناسبة الآية لما قبلها: لمَّا ذكر تعالى تلك النّعمة العظيمة؛ بيَّن بعد ذلك أنَّه لم يقتصر عليها، بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها التَّعديد والإحصاء، فقال:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[1].

ثانيًا: تفسير الآية إجمالًا: أي: وأعطاكم الله – أيُّها النّاس– من كلِّ ما رغبتم إليه أن يرزقكم إيَّاه، وهيَّأ لكم كلَّ ما تحتاجون إليه، ممَّا تسألونه إيَّاه، سواءً بلسان حالكم أو مقالكم.

وإن تعدُّوا– أيُّها النّاس– نعم الله عليكم، لا تطيقوا إحصاء عددها، والقيام بحصرها؛ لكثرتها، فضلًا عن القيام بشكرها، فلم تبدِّلون نعمة الله كفرًا؟! وهلَّا استعنتم بها على طاعته؟

إنَّ الإنسان لعظيم الظُّلم لنفسه، بوضعه العبادة في غير موضعها، وشكره غير من أنعم عليه، وتجرُّئِه على عصيان ربِّه، شديد الجحود لنعم الله عليه، فلا يشكره عليها، ولا يقوم بحقِّه سبحانه[2].

المراد بالكافر في الآية:

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب للرازي, ١٩/ ٩٨.

(٢) ينظر: تفسير جامع البيان للطبري, ٢١/ ٥٧٧, تفسير تيسير الكريم الرحمن, السعدي, ص٧٦٣.

وفي المراد بالكافر في الآية قولان: قيل: المراد به: الكافر على وجه الخصوص، فذلك شأنه وديدنه(١).

وقيل: المراد به جنس الإنسان من حيث هو؛ فتلك طبيعته(٢).

ثالثًا: لطائف من الآية الكريمة:

١- لا أحد أعظم إحسانًا من الله سبحانه؛ فإنَّ إحسانه على عبده في كلِّ نفَسٍ ولحظةٍ، وهو يتقلَّب في إحسانه في جميع أحواله، ولا سبيل له إلى ضبط أجناس هذا الإحسان فضلًا عن أنواعه أو عن أفراده، ويكفي أنَّ من بعض أنواعه نعمةَ النَّفَسِ التي لا تكاد تخطرُ ببال العبد، فإنَّه يتنفَّس في اليوم والليلة أربعةً وعشرين ألف نَفَسٍ، وكل نفَسٍ نعمة منه سبحانه، فإذا كان أدنى نعمةٍ عليه في كلِّ يومٍ أربعةً وعشرينَ ألفَ نعمة، فما الظنُّ بما فوقَ ذلك وأعظمُ منه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾، هذا إلى ما يُصرَفُ عنه من المضَرَّات، وأنواعِ الأذى التي تقصِدُه، ولعلَّها تُوازِنُ النّعمَ في الكثرةِ، والعبدُ لا شُعورَ له بأكثرها أصلًا، واللهُ سبحانه يَكلَؤُه منها باللَّيلِ والنَّهارِ، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٤٢](٣).

(١) وهو قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/١٦٤، ومحمّد بن جرير الطبري في تفسيره ١٣/٦٨٦، وابن عاشور في تفسيره ١٣/٢٣٧.

(٢) اختاره الرازي في تفسيره ١٩/١٠٠، واستظهره الشوكاني في تفسيره فتح القدير ٣/١٣٣ ، واختاره السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن. ص٤٢٦.

(٣) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن قيم الجوزية. ص٣١٥.

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [سورة العصر : الآية ٢] ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [سورة العاديات : الآية ٦] ، وقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾[سورة المعارج : الآية ١٩] ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [سورة العلق : الآيتان ٦-٧] ، وقوله: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب : الآية ٧٢] هذه كلُّها وصفٌ لشأنِ الإنسانِ من حيثُ ذاتُه ونفْسُه، وأمَّا خروجُه عن هذه الصِّفات فهو بفضل ربِّه وتوفيقه له ومنَّته عليه، لا منش ذاته، فليس له من ذاته إلَّا هذه الصِّفات، وما به من نعمةٍ فمن الله وحده، فهو الذي حبَّب إلى عبده الإيمانَ، وزيَّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وهو الذي كتب في قلبه الإيمان، وهو الذي يثَبِّت أنبياءه ورسله وأولياءه على دينه، وهو الذي يصرف عنهم السُّوء والفحشاء، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة يونس : الآية ١٠٠] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة المدثر : الآية ٥٦]، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة التكوير: الآية ٢٩] ؛ فهو ربُّ جميع

العالم ربوبيَّةً شاملةً لجميع ما في العالَم من ذواتٍ وأفعال وأحوال[١].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ كلمةُ ﴿ كُلِّ ﴾ للتَّكثيرِ، ومنه قوله عزَّ وجل ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ٤٤]وقيل: الأصل (وآتاكم مِن كلِّ ما سألْتُموه وما لم تسْألوه)؛ فحُذِفَ الثاني لدلالة ما أُبْقِيَ على ما أُلْقِيَ[٢].

٤- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ صيغتا المبالغة في ﴿ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ اقتضاهما كثرة النّعم المُفادُ من قوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾؛ إذ بمقدار كثرةِ النّعم يكثر كفر الكافرين بها؛ إذ أعرضوا عن عبادة المُنعِم، وعبدوا ما لا يغني عنهم شيئًا، فأمَّا المؤمنون فلا يجحدون نعم اللهِ، ولا يعبدون غيره[٣].

٥- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ التأكيد الذي جعل الخبر إنكاريًّا، فقد اشتملت هذه الآية على أربعة تأْكيداتٍ، وهي: (إنَّ)، واللام المزحلقة أو لام التأكيد، وصيغة (ظَلومٍ)، وصيغة (كَفَّارٍ) [٤].

(١) ينظر: الروح ابن قيم الجوزية. ص١٢٦.
(٢) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم , أبو السعود ٥/٤٨.
(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, محمّد الطاهر ابن عاشور١٣/٢٣٧.
(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدّين الدرويش ٥/١٩٦.

٦- في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ مناسبة حسنة، حيث قال في سورة النَّحلِ :﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[سورة النحل : الآية ١٨]؛ فأعقب في الأُولى قولَه تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ بغير ما أعقب في الثانية؛ ووجْهُ ذلك: أنَّ آية (إبراهيم) تقدَّمها قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ٢٨]، ثمّ قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[سورة إبراهيم : الآية ٣٠] ، ثمّ ذكر إنعامه على عباده في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ٣٢] إلى قوله: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ ﴾؛ فناسب الوصف بالكفر بأنَّه ظَلومٌ كَفَّارٌ ما ذكره تعالى من توالي إنعامه ودُرورِ إحسانه، ومقابلةِ ذلك من العبيد بالتَّبديل، وجَعْلِ الأندادِ. أمَّا آية النَّحل فلم يتقدمْها غيرُ ما نبَّه سبحانه عباده المؤمنين من توالي آلائه وإحسانه، وما ابْتدأَهم به من نعمةٍ، من لدنْ قولِه: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ [

سورة النحل: الآية ٤]، ثمّ توالت آيات الامتنان والإحسان، فقال تعالى :﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ ﴾ [سورة النحل: الآية ٥] ، فذكر تعالى بضعًا وعشرين من أُمَّهات النّعم إلى قوله- منبّهًا ومُوقظًا من الغفلة والنِّسيان:- ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل: الآية ١٧]، ثمّ أُتْبِعَ بقوله سبحانه: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾[سورة النحل : الآية ١٨]؛ فناسب ختامُ هذا بقولِه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة النحل : الآية ١٨]، فجاء كلٌّ على ما يناسب(١).

وقيل في سبب اختلاف الفاصلتين مع أن المُحَدَّثَ عنه واحد: كأنَّه يقول: إذا حصلت النّعم الكثيرة فأنت آخِذُها وأنا مُعْطيها، فحصل لك عند أخْذها وصفان: كونك ظلومًا، وكونك كفَّارًا، يعني لعدم وفائك بشكرها، ولي عند إعطائها وصفان، وهما: أنّي غفورٌ رحيمٌ، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي، فلا أُقابل تقصيرك إلَّا بالتَّوقير، ولا أُجازي جفاكَ إلَّا بالوفاءِ.

وقيل: إنَّما خَصَّ سورةَ إبراهيمَ بوصفِ المنعَمِ عليه، وسورةَ النَّحلِ بوصفِ المنعِمِ؛ لأنَّه في سورة إبراهيم في مساقِ وصف الإنسان، وفي سورة النَّحلِ

(١) ينظر: ملاك التأويل لأبي الزبير الغرناطي ٢/٢٨٧.

في مساق صفات اللَّه، وإثبات أُلوهيَّته[١].

المطلب الثاني:

الوصف بالكفر بصيغة ما أكفره

وردت كلمة (مَا أَكْفَرَهُ) مرة واحدة في سورة عبس, هذه الصيغة من صيغ التعجب, (ما أفعله: وهو أن تأتي بـ (ما) التي تفيد التعجب، ثم بـ (أفعل) المفتوحة الآخر، وبعدها الاسم المتعجب منه منصوبا نحو (ما أعذب الماء) وكقوله تعالى: {فما أصبرهم على النار} [البقرة: ١٧٥]، وقوله: {قتل الإنسان ما أكفره} [عبس: ١٧]) [٢]

أولًا: مناسبة الآية لما قبلها:

ثانيًا: تفسير الآية إجمالًا: أي: هذا دعاء على الإنسان الكافر بالقتل، لشدّة كفره بالله، ومن لازم ذلك لعنه وطرده من رحمة الله.

ثالثًا: لطائف من الآية الكريمة:

١- قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ دعاءٌ عليه، وهي من أشنع دعواتهم؛ لأنَّ القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها[٣]

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٣٥٠.

(٢) ينظر: معاني النحو, المؤلف: د/ فاضل صالح السامرائي, ٤/ ٢٧٨.

(٣) ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري, ٤/٧٠٢.

٢- هذه الجملة بلغت نهاية الإيجاز وأرفع الجزالة بأسلوب غليظ دال على السخط بالغ حد المذمة، جامع للملامة، ولم يسمع مثلها قبلها، فهي من جوامع الكلم القرآنية(١).

٢- اختلف المفسرون في ما هل هي تعجبية بمعنى التعجب من كفره مع إحسان الله إليه(٢) أم استفهامية استفهاما تقريريا توبيخيا بمعنى ما الذي أكفره(٣).

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير, محمّد الطاهر ابن عاشور, ٣٠/ ١٢١.

(٢) وهو قول أبي إســـحاق الزّجّاج في معاني القرآن, ٥/ ٢٨٤، ورجحه البغوي في تفســـيره, ٣٣٧/٨، والزمخشري في الكشاف,٧٠٣/٤، والرازي في مفاتح الغيب, ٥٨/٣١.

(٣) قاله الســـدي كما في زاد المســـير ابن الجوزي, ٤٠١/٤، ورجَّحه مكي بن أبي طالب في تفســـيره, ٨٠٦٠/١٢، وأبو البركات النسفي في تفسيره مدارك التنزيل, ٦٠٢/٣.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، أمَّا بعد.

فقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى عدد من النّتائج، وهي:

أولًا: أنَّ معنى الكفر في اللغة: السَّتر والتغطية.

ثانيًا: أنَّ الكفر في اصطلاح الشّرع هو: عدم الإيمان.

ثالثًا: أكثر صيغة استعملت في الوصف بالكفر في القرآن الكريم هي: كفور، على وزن فعول.

رابعًا: المراد بالكفر الموصوف به الإنسان يختلف باختلاف سياق الآية وسباقه، وأكثره المراد به كفر النّعمة والجحود.

خامسًا: في بعض المواضع يراد بالكفر، الكفر الأكبر الذي يقابل به الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ [سورة عبس : الآية ١٧].

وأوصي بدراسة المصطلحات الشّرعيَّة من خلال آيات القرآن الكريم دراسة تحليليَّة.

وصلى الله على نبينا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمّد الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر الجكني الشّنقيطي، النّاشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ.

٢- البحر في التفسير: أبو حيان محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدّين الأندلسي، المحقق: صدقي محمّد جميل، النّاشر: دار الفكر – بيروت، الطّبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣- البسيط في التفسير: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمّد الواحدي، تحقيق عدد من الباحثين بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الطّبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٤- التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : محمّد الطّاهر بن محمّد بن محمّد الطّاهر بن عاشور التونسي، النّاشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٥- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي، المحقق: سامي بن محمّد سلامة، النّاشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطّبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٦- تفسير القرآن العظيم: أبو محمّد عبد الرّحمن بن محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرّازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمّد الطّيب، النّاشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطّبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

٧- التوقيف على مهمات التعاريف, المؤلف: عبد الرؤوف, المناوي (ت

١٠٣١هـ), الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة, الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٨- جامع البيان في تأويل القرآن: محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطّبري، المحقق: أحمد محمّد شاكر، النّاشر: مؤسسة الرّسالة، الطّبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه: محمّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر، النّاشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمّد فؤاد عبد الباقي)، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدّين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، النّاشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطّبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

١٠- الدر المنثور في التفسير بالماثور : عبد الرّحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : مركز هجر للبحوث، النّاشر : دار هجر - مصر، سنة النشر: ١٤٢٤هـ.

١١- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزي، المحقق: عبد الرّزاق المهدي، النّاشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطّبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١٢- سنن سعيد بن منصور: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، المحقق: حبيب الرّحمن الأعظمي، النّاشر: الدار السلفية - الهند، الطّبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، النّاشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطّبعة: الرّابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٤- صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، المحقق: د. محمّد مصطفى الأعظمي، النّاشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

١٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ، النّاشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطّبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

١٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، النّاشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطّبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ.

١٧- لسان العرب: محمّد بن مكرم بن على، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي، النّاشر: دار صادر, بيروت، الطّبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

١٨- المجتبى من السنن: أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، النّاشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطّبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرّحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد

السلام عبد الشّافي محمّد، النّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطّبعة الأولى-١٤٢٢هـ.

٢٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشّيباني، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، النّاشر: مؤسسة الرّسالة، الطّبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمّد فؤاد عبد الباقي، النّاشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٢- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير،: أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدّين الرّازي خطيب الرّي، النّاشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطّبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٢٣- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان داودي، النّاشر: دار القلم، الدار الشّامية - دمشق بيروت، الطّبعة الأولى - ١٤١٢هـ.

٢٤- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرّازي، المحقق: عبد السلام محمّد هارون، النّاشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٥- المحكم و المحيط الأعظم, أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ], المحقق: عبد الحميد هنداوي, ٧ - ٤, الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: الأولى،-٩٨٩١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم, مجموعة من العلماء بإشراف مجمع

البحوث الإسلامية بالأزهر, ٤-١٦٩, الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية, الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م.

٢٧- المحكم والمحيط الأعظم, أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي

(ت: ٤٥٨هـ), المحقق: عبد الحميد هنداوي, الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم, مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر, ٤-١٦٩, الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية, الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م.

٢٩- مجلة المنار, الشيخ- رشيد رضا وغيره, بدون تاريخ.

٣٠- التوصل إلى حقيقة التوسل - المشروع والممنوع, المؤلف: أبو غزوان، محمد نسيب الرفاعي (ت: ١٤١٣هـ), الناشر: دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت, الطبعة: الثالثة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٣١- الحد الفاصل بين الإيمان والكفر, المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق , الناشر: الدار السلفية، الكويت, الطبعة: الخامسة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ), المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد, الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٣- النحو الوافي, المؤلف: عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ), الناشر: دار المعارف, الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة, بدون تاريخ.

٣٤- معاني النحو, المؤلف: د. فاضل صالح السامرائي, الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن, الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٥- شذا العرف في فن الصرف, أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ), تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله, الناشر: مكتبة الرشد الرياض, بدون تاريخ.

٣٦- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه, أبو محمد مكي بن أبي ط الب (ت ٤٣٧هـ), الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة, الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .

٣٧- مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية, د/ أحمد حسين الرفاعي, ص٨٣, دار اليازوري العلمية , عمان, سنة ٢٠٠٩م.

٣٨- مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د/ حلمي عبد المنعم صابر، المنار للطباعة والنشر, الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

فهرس المحتويات

المحتويات

الملخَّص ١٨٤
المقدمة ١٨٧
التمهيد ١٩٢
المبحث الأول: ١٩٥
الوصف بالكفر بصيغة (كفور) على وزن (فَعُوْل) ١٩٥
مدخل ١٩٦
المطلب الأول: ١٩٧
حال الإنسان مع رحمة الله تعالى. ١٩٧
المطلب الثاني: ٢٠٠
التّمثيل بحال الإنسان في السّراء والضّراء ٢٠٠
المطلب الثالث: ٢٠٤
وقوع الكفر من الإنسان مع كمال علمه بقدرة الله تعالى. ٢٠٤
المطلب الرّابع: ٢٠٧
الإنسان الكافر وموقفه من دعوة الأنبياء عليهم السلام ٢٠٧
المطلب الخامس: ٢١١
موقف الإنسان الكفور من الملائكة عليهم السلام ٢١١
المبحث الثاني: ٢١٣
الوصف بالكفر بصيغ متعددة ٢١٣
المطلب الأول: ٢١٤
الوصف بالكفر بصيغة كفَّار ٢١٤

المطلب الثاني: ٢٢٠
الوصف بالكفر بصيغة ما أكفره ٢٢٠
الخاتمة ٢٢٢
المصادر والمراجع ٢٢٣
فهرس المحتويات ٢٢٩